جدا) وصورة الاستعداد هذا في صورة رف طائرات أو قسم حسب الحالة، والطيارين داخل طائراتهم ينتظرون فقط نداء الإقلاع الفورى. [إسكرامبل]

وحالات الاستعداد هذه طوال اليوم وطوال الليل.

وتتسلح الطائرات في ذلك الوقت بالصواريخ الموجهة والصواريخ الحرة والمدافع بالعيارات المختلفة.

ويستغرق الاقلاع في هذه الحالة زمن وجيز لا يزيد عن ثلاثة دقائق، والطيارين داخل الطائرات في انتظار أمر الاقلاع، ويتم استبدالهم كل ساعتين وتستمر حالات الاستعداد هذه منذ أول ضوء بعد الفجر إلى أخر ضوء بعد المغرب. وعندما يكون هناك انذار عن نية العدو للقيام بأعمال عدوانية، فإن حالات الاستعداد تزداد لتصبح مظلة جوية وهى أقصى حالات الاستعداد وتحدد المنطقة التى يحتمل أن يقترب منها العدو الجوى وتقوم التشكيلات الجوية بالتناوب في احتلال هذه المنطقة بتشكيل جوى على مدى ما يسمح به وقود الطائرة في الاستمرار في الطيران.

- تكاثر سحب الحرب

فإننى أذكر أننى توليت مسؤلية حالات الاستعداد الأرضى في ذلك اليوم، وحدث اختراق جوى معادى في الصباح وصدر أمر اقلاع

لاعتراض الهدف وتحقيق حماية القاعدة ضد أى عمل عدائى جوى، وكان تشكيلنا يتكون من «قسم» أى طائرتان وانتهت الطلعة بدون أى اشتباك.

وفى يوم 4 أكتوبر 1973هبطت بأرض المطار طائرة نقل جوى من طراز «انتينوف» وهى صناعة روسية وعلى متنها مجموعة من الضباط الفنيين المختصين بموضوع قنبلة الممرات المصرية، وقد استقبلناهم بما يليق بين إخوانهم المصريين في السرب المصرى، ثم توجهوا مباشرة إلى قيادة القوات الجوية السورية التى كانت قد أعدت لهم مركبات ومرافقين لنقلهم إلى مقر القيادة، وعلمت منهم أن قنبلة الممرات المصرية قد زودت بها القوات الجوية السورية.

انتهى هذا اليوم الذى كان مشهودا، تعددت فيه الأنشطة والتحركات وأذكر في هذه المناسبة أن قائد التشكيل الذى كان في مصر في إجازة ميدانية قد عاد الى المطار [الرائد بدوى].

انتهى هذا اليوم وأنا راض كل الرضا عن إعداد سربى للعمليات وكانت روحنا المعنوية في السماء وهذا ذروة ما كنت أتمنى.

- اقتراب ساعة السفر

اليوم الخامس من أكتوبر 73 أعلن عن رفع حالات الاستعداد إلى الحالة القصوى في الساعة الرابعة صباحا وكانت تحمل الاسم

الكودى (قاهر 40)، استيقظ السرب كله في هذا اليوم منذ أول ضوء، وتوليت مسئولية حالات الاستعداد رقم 1. وانتظر باقى الطيارين في السرب لتلقى أى تعليمات جديدة. والطائرات مجهزة للقيام بمهمة الدفاع الجوى.

استيقظنا مبكرين جدا بعد أن أعلنت حالات الاستعداد القصوى ساعة 430 وكان السرب أجمعه يعمل، بدأ من سعت 530، كان اليوم هو يوم الجمعة والمفروض أنه يوم الراحة الأسبوعية فقد تعودت عدم القيام بأى تدريب في هذا اليوم والتفرغ للأعمال الإدارية والصيانة ولأداء صلاة الجمعة.

صدر استدعاء لقادة الأسراب جميعا وكان هذا الاستدعاء يشملنى أيضا بطبيعة الأمر إلى مكتب العميد صبحى حداد قائد اللواء، وسلمنا أمر القتال وأن التنفيذ باكر السبت السادس من أكتوبر إن شاء الله كما عرفت أن ساعة (س) سوف يعلنها باكر السبت.

بدأت ستائر الحرب تظهر في الأفق فلقد رفعت حالات الاستعداد إلى الحالة القصوى وتسلمنا أمر القتال، ما علينا إلا أن نستعد.. وكما نوهت قبلا كنت قد استبقت الأحداث في تجهيز الطائرات للطيران ولم يعد إلا أن تجهز للقتال، وهنا أصدرت أوامر التجهيز.. وبدأت

مطار المزة / بيان عملى للقوات الجوية.

↓↓ اللواء ناجى جميل قائد القوات الجوية السورية

↓ اللواء طيار بكرى الجندى

عربات التسليح تتجه إلى دشم الطائرات وبدأ تجهيز العمليات بجوار الدشم وأصبح المطار كتلة من النشاط لم يعهده من قبل.. خلية نحل.. عربات تتحرك بطول المطار وعرضه.. عربات مرابطة أمام الدشم.. والرجال يجهزون مرابض الذخيرة وآخرون يحملونها ويكدسونها والعاملون في مجال الحرب الكيماوية يوزعون الكمامات وملابس الوقاية بعد القيام باختبارها.. الكل تحمس.. ويا لها من صورة لم يشهدها المطار.. اختلاف كامل بين عمل يدور وعمل يدور بحماس. وهكذا يظهر العنصر المصرى الأصيل الذى تتفجر مشاعره في المناسبات الوطنية الذى يوهب نفسه لوطنه عندما يناديه.. وأننى أسجل في هذه اللحظة أننا ونحن على الأرض السورية لم يختلف شعورنا أبدا عن أرض مصرية خاصة وأننا لم نشعر ونحن مع إخواننا السوريون بشعور الغربة ولم يشعرنا إخواننا السوريون إلا بالمواطنة والمحبة.

أصدرت أوامرى إلى الطيارين بدراسة خطة العمليات على الخرائط المجسمة، بدأت مراجعة خطط الملاحة إلى الأهداف. وكنت قد ثبت تشكيلات القتال في رفين كل رف 4 طائرات.. سوف يقلعون في تشكيل واحد. ثم ناقشنا الخطة من جميع الجهات وموقع كل طيار من التشكيل وواجباته عند قصف الأهداف المعادية أو عند الاشتباك مع العدو الجوى.. بالطبع كان كل هذا معلوما وتم التدريب عليه تمام، ولكن كان هذا من باب المراجعة والتأكيد.

ورأيت على وجه الطيارين الأمل مرسوما في تحقيق النصر.. لقد كانوا من جيل لم يعاصر هزيمة يونيو 67 ولكنهم من جيل آمن بضرورة الحرب استردادا لشرف الأمة بالقتال وليس بالاتفاقيات.. إنها من أسعد لحظات الحياة وما أقل لحظات الحياة السعيدة.

لا أنكر أن الأعصاب مشدودة فالقتال له رهبة فإنه ليس نزهة فربما تكون الطلعة الأولى تكون هى الطلعة الأخيرة، أيضا فهؤلاء الضباط كانوا في سن مبكر جدا مازالوا ملازمين ومازالت خبرتهم في أول الطريق ولكن ولله الحمد تحصلوا على أعلى مستويات التدريب.

ولم يكن العدو الجوى هذا الذى كنا نستضعفه قبل يونيو 67. بل كان هذا الذى يزهوا بانتصاراته وقوته.. هذا الذى أصبحنا نحن نعمل له الحساب وفعلا عملنا له الحساب واستوعبنا الدرس القاسى وأعددنا أنفسنا للقائه.

صدرت التعليمات بالتوجه إلى السرب الخامس وكانت قاعة المحاضرات خاصة بالطيارين من السرب الأول والخامس والسرب الثامن عشر ثم سربنا الخامس عشر.. ثم أخذنا أماكنا وأخذت مكانى مع قادة الأسراب.. وكان الحديث دائرا بين الضباط تتخله الضحكات وتتطلعت إلى وجوه استشُف ما ورائها ولم أرى إلا وجوه هادئة ونظرات ثابتة تشع منها بريق الحماس.

ثم دخل هيئة قيادة اللواء [العقيد/ طالب صباغ - العقيد/ شريف ريا- العقيد/ مروان بلش- الرائد/ عدنان أبو لطفى، ولا يفوتنى أن أذكر

من قادة الأسراب، الرائد/ محمد، قائد السرب الخامس (استشهد) وكان من خيرة الناس، والمقدم/ سمير زينل (استشهد) وهو عراقى وكان من خيرة الناس أيضا].

وقام العقيد / مروان بلش لشرح خطة العمليات.. وران الصمت على الجميع وكان الاهتمام واضح كل الوضوح فاليوم غير أمس ونحن مقبلون على أعظم وأخطر الحروب. أن غدًا ستبدأ معركة نكون أو لا نكون. حمدا لله الذى مد عمرنا لنشترك في إزالة وصمة العار التى لصقت بأمتنا ظلما.

فى مثل هذه المحاضرات كثيرا ما يسرح الإنسان فيها أو يشده تفكيره في موضوع يشغله أو يستغرق في حديث هامس مع زميل له جاره ولكن كانت هذه المحاضرة فيما يشغل بالنا وفيما نستغرقه من أحاديثنا الجانبية وفيما نسعى لتحقيقه..

انتهت المحاضرة ثم بدأت المناقشات والتى اتسمت بالجدية والموضوعية.. التى انتهت أيضا وانصرفنا إلى أسرابنا، اتجهنا إلى مبنى السرب لإتمام مراجعة الخطة قياسا بما ألقى في المحاضرة وبعد ذلك اتجهنا إلى المطعم لتناول طعام الغداء. وانتهى اليوم.. ولكن تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن فقد أصبت بنزلة برد شديدة تقعدنى عن الطيران وتجاوزت درجة حرارتى 38°، هنا يجب أن أوضح موضوع هام جدا يخص الطيارين للتأكد تماما من لياقتهم وخلوهم من أى مرض خاصة الأمراض التى يصاحبها زكام أو رشح أو ارتفاع في

درجة الحرارة، أيضا للكشف اليومى على الدورة الدموية والتأكد من صلاحيتها فأى مرض مما أشرت إليهم يمنع الطيار من الطيران ويشكل خطورة بالغة تؤدى إلى حادث مميت، ولذلك نصت التعليمات بإيقاف أى طيار يرى طبيب السرب (يوجد طبيب يعمل مع كل سرب بصفة دائمة) أنه غير لائق صحيا..

ما علينا، لم يكن الموقف يتحمل أن أكون غير لائق صحيا للطيران، فأنا قائد هؤلاء الرجال ويجب أن أكون على رأسهم في الطلعات المقبلة، طلبت من طبيب السرب وهو مصرى (الدكتور زخاريوس) عضو في المأمورية التى ننتسب إليها، طلبت منه أن يعمل ما في وسعه لإبرائى من مرضى وأكدت له أننى سأكون في مقدمة الطيارين مهما كانت الظروف الصحية، وقام الطبيب بمباشرة علاجى على وجه السرعة وإعطائى جرعات مكثفة من الدواء حتى يعجل بالتغلب على هذا البرد اللعين.. والذى وصل في موعد غير مناسب بالمره.

وفى هذا اليوم، يوم الجمعة توجهنا إلى صلاة الجمعة ضارعين إلى الله أن يكون معنا وينصرنا.

فى المساء اجتمعت بكامل الطيارين في حجرة مجموعة منهم، كان عددنا عشرة طيارين فكرى، يوسف، مصطفى، بكر، نايف، سيف، حازم، شريف، يحيى لنخلوا إلى أنفسنا بعيدا عن السرب.. كنا مستوعبين تماما مهمتنا المقبلة.. اتخذت اسلوبا في مناقشتهم أتكشف من وراءه نفوسهم وروحهم المعنوية والحمد لله كانت النتيجة تثلج

الصدور فلم ألاحظ على أحدهم أى تردد بل وجدت فيهم الشجاعة والإقدام كان الثأر هدفنا الذى نسعى إليه وهذا ما دعانى إلى تسمية معركتنا المقبلة بمعركة الثأر.. حرب الثأر من عدو حقق نصرا رخيصا في يونيو 1967 وأنا لا أستعمل كلمة نصرا رخيصا لكى أحط من شأنه، ولكن لأن هذا واقع حقيقى فهذا النصر حققه العدو ضد جيش لم تتح له الفرص لكى يحارب.. جيش منعته قيادته من الحرب.. الجيش الذى زج به في سيناء لا نعلم لأى هدف زج به، ثم طلب منه أن ينسحب بعد أن دمر العدو الجوى قواتنا الجوية.

وحدثت الكارثة التى البستنا ثوب العار أمام العالم وأمام وطننا، ولم يرحمنا أحد، ولم تجد القيادة السياسية في نفسها الشجاعة حتى تعلن الحقيقة، سوء تقديرهم للموقف، حقيقة تسرعهم في أمر الانسحاب، لقد حقق جيشنا بطولات خلال حرب 67 ولكنها ضاعت في حجم الهزيمة الكبيرة.

لقد كنت ضابط طيار برتبة نقيب خلال هذا الحرب، لم أشترك فيها حيث كنت راقدا في مستشفى القوات الجوية إثر حادث طائرة خطير حدث لى في مايو 1967، إصابات خطيرة جدا كادت تؤدى بحياتى ألزمتنى الفراش 3 شهور متوالية أعقبها شهران علاج طبيعى.

(ولكنى كنت عضوا بلجنة تاريخ الثورة وحققنا في أسباب هزيمة الجيش المصرى في يونيو 67 وأدركنا مدى المأساة التى تعرض لها هذا الجيش المظلوم، المأساة التى لم يتعرض لها جيش قبلا والتى لو

تعرض لها أى جيش في العالم للقى هزيمة أقسى مما لاقاها الجيش المصرى).

لن نتحدث عن الحشد الغير مدروس الذى حشد به جيش مصر في سيناء وفى يونيو 67، ولن أتطرق إلى تغيير تمركزاته من هجوم إلى دفاع ولن أتعرض لحشد احتياطى الجيش الغير مدروس والذى لم يعد له الإعداد العلمى والمدروس وأشياء أخرى، ولكنى سوف أتعرض فقط للحدث الخطير.. سبب الهزيمة الأكبر وهو أمر الانسحاب الغير مدروس.. هل بمجرد أن نفقد قواتنا الجوية نكون قد خسرنا الحرب؟ لا بالطبع فقد كان في إمكاننا الصمود وحتى لو خسرنا الحرب فلم تكون الخسارة أكبر من النطاق الدفاع الأول للجيش المصرى وهو شرق الممرات المشهورة.

ولكن للأسف صدر أمر الانسحاب بأمر هذه القوات الضخمة التى حشدت من قرابة شهر أن تعود غرب القنال في 48 ساعة.. غير ممكن بالطبع.. ويا ليت أمر الانسحاب هذا وصل إلى كل القوات ولكن وصل بعضها والبعض لم يصله شيء.

وتقدم العدو في مثل هذه الظروف التى يتعرض لها هذا الجيش.. الظروف التى لم يتعرض لها جيش من قبل وحدثت الكارثة.

ما علينا فإن كثرة الأحداث وفداحة بعضها تدفعنى إلى ذكرها والاسترسال في سردها فأرجو أن يلتمس لى القارئ الكريم العذر إذا خرجت عن موضوعنا الذى نتعرض له.

لم يكن لنا أبدا أن نرفع رأسنا عاليا ونفخر بذاتنا في وطننا إلا بالحرب، ونحن المقاتلون الذين سوف نصنع هذا النصر، لم نكن نتمنى للجهود الدبلوماسية أن تنجح في إيجاد حل سلمى لهذه المشكلة والحمد لله لقد حقق الله لنا رجاءنا.

وها نحن مقبلون على معركتنا، متأكدين من النصر، فقد استوعبت القيادة السياسية الدرس تماما، وفى القوات المسلحة المصرية أعددنا أنفسنا إعدادا لم يحدث من قبل ومن الصعب أن يتكرر، وهذا موضوع اتناوله فيها بعد إن شاء الله.

هذا معظم ما دار في حديثنا في جلستنا هذه، ثم أضفت أننا لا نبغى إلا هذا، وهو شرف الاشتراك في رد كرامة جيشنا ووطننا الحبيب، نموت وتحيا مصر، رددناها في هذا المكان المغلق لا نبتغى من وراءها إلا معناها فنحن مقبلون على معركتنا لا مزايدة.. ولا نتقرب إلى سلطة أعلى، ثم استطردت قائلا: لا تبتأسوا بعد الحرب فسوف تشاهدون أناسا لم يشاركوا في القتال فوق الاكتاف وهذا موجود في كل مكان، ولكن كفانا رضائنا عن أنفسنا فخير ما يناله الإنسان شعروه برضاءه عن نفسه حتى ينام وهو قرير العين. وتشاء الظروف أن تحقق هذه النبوءة المأسوية.. وطوى النسيان الأبطال وكم كانت سعادتى، لم أجد من رجالى إلا الترحيب والإقبال، وكان تشوقهم إلى القتال لا يقل عن شوقى.. ثم نهضنا وصلينا العشاء جماعة وانفض الجميع وانصرفنا إلى النوم..

ذهبت إلى غرفتى وأعددت حقيبة صغيرة جمعت فيها حاجياتى القليلة، فقد سبق لى أن بعثت إلى زوجتى بكل ما قد اشتريته وكل ما كنت أعتزم أن أصحبه معى عند قيامى بالإجازة الشهرية الدورية، ثم شرعت في كتابة خطاب موجه إلى زوجتى موجها لها الحديث باعتباره آخر حديث أوجهه لها متضمنا توصيتى بما تفعله مع أطفالى وأمى ويجوز لى أن أطلق على هذا الخطاب اسم الوصية الأخيرة، ووضعت هذا الخطاب بالحقيبة التى احتوت على ما تبقى من حاجياتى القليلة واحتفظت بالمفتاح في رداء الطيران ثم أودعتها بالدولاب وأغقلته واحتفظت بمفتاحه أيضا في رداء الطيران وآويت إلى سريرى للنوم وكان في هذا اليوم مبكرا على غير العادة ثم قرأت سورة يس واستغرقت في النوم.

- يوم الواقعة

وفى يوم 6 أكتوبر 1973 استيقظ السرب بأجمعه في أول ضوء وكان كله طورائ كنا جميعا متحفزين نشعر أن أملنا وهو الحرب أصبح واقعا، اليوم سنقاتل معركتنا التى أعددنا لها جيدا.. نعم معركتنا فهى معركتنا، فقد أعددنا اعدادا لم يحدث ومن الصعب أن يحدث ونحن الذين حددنا توقيت اشعالها.. إذا فهى معركتنا بحق.

وكانت روحنا المعنوية عالية، وإننى أرجو أن أعلم القارئ الكريم أننى أذكر الحقائق مجردة، بأننى لست محررا في إدارة الشئون المعنوية

أنا نفسى لم أكن متوقعا هذا الهدوء وهذه الصلابة التى اتسمت بها صفتنا في هذا الصباح، ولكنها الحقيقة.

ذهبنا إلى السرب، واتجه قائد ثان السرب إلى حالات الاستعداد فقد كان عليه الدور في ذلك اليوم، أما باقى السرب فقد انشغل بعمله المعتاد اليومى في السرب.

وعند آذان الظهر استدعيت إلى قيادة اللواء حيث قابلت هناك كل قادة الأسراب، استقبلنا قائد اللواء بكلمة قصيرة ذكر بها أن اليوم هو يوم معركة الشرف والكرامة ثم واصل تلقينه مفصلا مرة أخرى أهداف كل الأسراب والبدائل إذا استجد في الأمر جديد.

وفى نهاية اللقاء أعلن قائد اللواء سعت س( ). بدء سعت القتال وكان الاقلاع سعت 1445 (ثلاثة إلا ربع)، وكان هدف سربنا المصرى رادار «النبى يوشع» في الأراضى الإسرائيلية بعد بلدة «صفد» في الجليل الأعلى.

فاتنى القول أننى لم أكن قد برئت تماما من نزلة البرد التى ألمت بى وكانت درجة حرارتى تزيد عن 37.5° وكان العرق باديًا بوضوح فوق جبينى حتى إن رئيس اركان اللواء صور له عقله أننى أمر بموقف عصيب، فوجه لى سؤال غريب يسألنى فيه هل أنا خائف، فشرحت له حالتى المرضية بلهجة لا تتصف بالود، وهنا طلب منى عدم الطيران،

وكان ردى لست أنا الذى أتقاعس في هذا اليوم هذا أولا. ثم ثانيا لن يفسر هذا الامتناع بالواقع الذى أمر به. وأنا بأى حال لا أسمح أن يظن أحدا بى ترددا.. ثالثا سوف تهتز الروح المعنوية للطيارين.. ثم رابعا: منذ أكثر من 6 سنوات وأنا انتظر هذه اللحظة، يا سيادة العقيد!!!

انصرفت من قيادة اللواء واتجهت إلى السرب، وقمت بتأكيد الطيارين المشتركين في الضربة الجوية الشاملة والذين كنت قد حددتهم منذ يومين وكان عددهم 8 طيارين وهم فكرى، سيف، بكر، يحى، بدوى، يوسف، نايف، شريف، ثم أعطيت التلقين الأخير وأعلنت لهم سعت الاقلاع. ثم اختبرت مدى استيعابهم لحظة الرحلة إلى الهدف.

كانت الرحلة تبدأ بإقلاع الطائرات رفين، الرف الأمامى بقيادتى والرف الثانى بقيادة قائد ثان السرب، خطة الرحلة بعد الاقلاع هى الاتجاه على ارتفاع منخفض جدا إلى بلدة «زحلة» في لبنان حيث تقرر أن نهاجم اسرائيل مقتربين من لبنان، وقبل زحلة بقليل تتجه جنوبا فوق سهل البقاع الشهير (الذى حدثت فوقه أحداثا كبيرة سواء كانت أحداثا جوية أو برية خاصة خلال الحرب الأهلية اللبنانية) إلى بلدة «مرجعيون» وهى أشهر بلاد سهل البقاع بعد بلدة زحلة، ثم بلاتى «راشيا الوادى» «وراشيا الفخار» في جنوب لبنان، بعد ذلك نتجه إلى الجليل الأعلى في أرض اسرائيل متجهين إلى بلدة صفد، ثم الاتجاه مباشرة إلى الرادار الذى يقع في قيادة المنطقة الشمالية لإسرائيل..

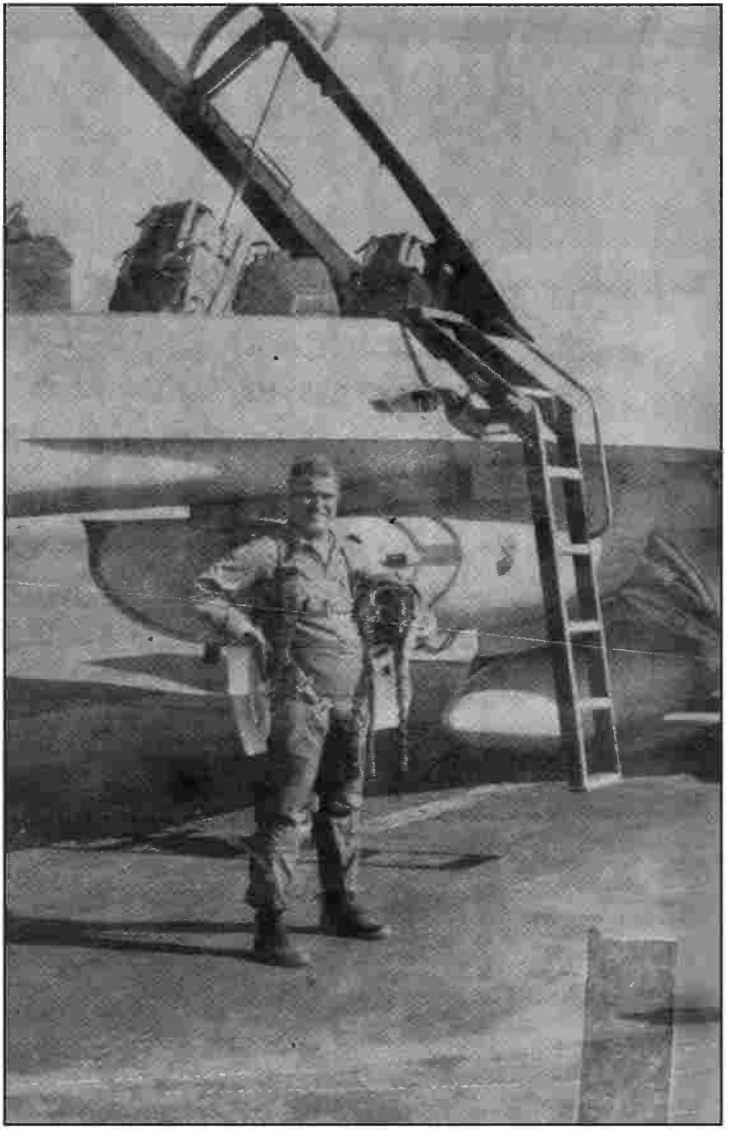

مع الطائرة إف ١٦ في مشروع النجم الساطع

بعد هذا التلقين الذى استخدمت فيه الخرائط المجسمة اختبرت الطيارين في إجراءات الأمن وكان معظمها ينصب على الطيران المنخفض والتصرف في حالة لقاء العدو الجوى أو في حالة إصابة الطائرة.

ذهبنا إلى ميس الطعام لتناول وجبة الغذاء وكان مبكرا على غير العادة وهى بعد الساعة الواحدة بعد الظهر.

وكانت عينى على الطيارين ألاحظ ردود الفعل وأستقرئ ما وراء هذه الوجوه، وكما توقعت كل الجدية.

كنت أحاول تبسيط الأمور فالموقف غير عادى والإقبال على القتال ليس بنزهة وله رهبته، فإننا ذاهبين إلى القتال سيعود البعض ولن يعود البعض الآخر، وهى المرة الأولى التى نبادر بها العدو في القتال وهى المرة الأولى التى تقتحم فيها أرضه، فقد كان يأتى دائما وكنا نقاومه وندافع عن أهدافنا، وهذه المرة نحن الذى نهاجمه ونقتحم بيته ونجبره على للدفاع عن نفسه أو بمعنى أدق أول مرة نتبادل الأدوار.

يجب على أن أذكر الفرق بين الخوف من القتال والرهبة، من واقع الخبرة فالخوف من القتال لن يسمح لك بالصعود إلى الطائرة لأن أقدامك لن تحملك وتخذلك، هذا أولًا ثم ثانيا سيصاب هذا الخائف باسهال لن يتوقف، أما الرهبة فليس لها أثر سلبى على الاطلاق ولكنه شعور بالترقب، أما الشجاعة فهى الاقدام بإقبال كبير..

وتكون مسئولية قائد السرب في هذه اللحظة عظيمة لأن روح قائد السرب تنعكس على باقى الطيارين كما أن إيمانهم بالمهمة إيمانا عميقا في غاية الأهمية.

انتهينا من تناول الطعام وذهبنا إلى السرب، وحان وقت تحركنا إلى الدشم للانطلاق بالطائرات إلى مهمتنا المقدسة، وكان الوداع مؤثرا فقد تجمع الضباط والعاملين في السرب لوداع الطيارين الوداع الأخير، وكان قائد المأمورية المقدم إبراهيم قد أعد عربتين لنقل التشكيل، ولكنى نقلت جميع التشكيل في عربة واحدة.

- الساعة الثانية إلا الربع 6 أكتوبر

اتجهنا إلى الدشم سويا، نظرت إلى وجوه الطيارين وران الصمت علينا جميعا، وبدون إعداد مسبق أو تلقين من قيادة أعلى صرخت بأعلى، صوتى «ورايا يا ولاد الله أكبر الله أكبر» وردد الطيارين النداء يهز العربة، الله أكبر لبيك اللهم لبيك.. لبيك لا شريك لك لبيك، واشتعل الحماس وظللنا نردد النداء المقدس، واقتربنا من موقع مدفعية م ط فأخذ هو الآخر يردد النداء المقدس بحماس، بدأنا نقترب من الدشم وزاد حماستنا اشتعالا، وكانت ندائاتنا قد سبقتنا فوجدنا رجال الصيانة في استقبالنا ونداء الله أكبر ينطلق من حناجرهم يشق عنان السماء ويهز الدشم، هذا البناء الخرسانى، وعم التكبير القاعدة بأجمعها وكأننا في يوم عرفة تشق ندائاتنا عنان السماء.

نزل الطيارون من العربة يتسارعون للوثوب داخل طائراتهم وسط هذه الظاهرة الدينية العظيمة التى فتح الله بها علينا وعلى سلم الطائرة حضر المقدم ابراهيم ليودعنى والدموع في عينيه (رحمة الله عليه فقد توفى بمستشفى المعادى عام 1975) وقدمت له مفتاح الدولاب ومفتاح الشنطة التى أودعت بها ما تبقى من حاجياتى القليلة ورجوته أن يسلمها إلى زوجتى..

وهنا أجهش ابراهيم بالبكاء ولم يستطع أن يتكلم.. وهنا حاولت أن أبسط الأمور قلت له وإن كل شيء بيد الله وإن شاء الله راجعين بالسلامة يا أبو خليل. وانتهى كل شيء وقفزت داخل الطائرة وأصدرت الأمر بإدارة الطائرات بين التهليل والتكبير الذى انتشر بالمطار حتى خلت أن مدينة دمشق بنفسها تسمعه.. ما أعظمه. كان إلهاما من الله سبحانه وتعالى. فإن ما فعله هذا التهليل وهذا التكبير كان عظيما، ثم تحركنا إلى الممر وفى التوقيت المحدد تماما كنا في طريقنا إلى مهمتنا المقدسة يملأنا الحماس ويملأ قلوبنا الإيمان.

كان أول اقلاع في حرب أكتوبر المجيدة 73 ولنا الشرف العظيم أن نكون أول تشكيل في حرب أكتوبر المجيدة، ثم اتخذنا طريقنا بعد أن جمعنا التشكيل إلى الهدف كما درسناه عدة مرات عبر الأراضى اللبنانية خلال سهل البقاع في ظل جبل الشيخ من ناحية الشرق وجبل لبنان من ناحية الغرب اتجهنا إلى الهدف وقبل أن نصله بثوان، صدرت لنا أوامر جوا بتغيير الهدف لقذف تجمعات العدو عند موقع بحيرة مسعده، وبالفعل وصلنا إلى الهدف وكان تجمعات آليات قذفناها واشتعلت

بها نيران عظيمة. لم نشاهد للعدو الجوى أى أثر وأخذنا طريق العودة وكان هو نفس طريق الذهاب ورأينا أمامنا القرى الإسرائيلية تحتفل بعيد الغفران وكانت فرصتنا أطلقنا فيها نيران مدافعنا.

وعندما اقتربنا من بلدة مرجعيون ترامى إلى أسماعنا صوت ينادى علينا للتأكد من سلامتنا وكان صوت طائرة السيطرة وهى طائرة تحلق فوق سماء المطار على ارتفاع عال لتستطيع الاتصال بنا يقودها الرائد عدنان ونحن على الارتفاعات المنخفضة اسمعنا السؤال وكان الجواب تمام الله أكبر وتعاقبت باقى التشكيلات السورية تمام الله أكبر وامتلأت السماء بالنداء العظيم الله أكبر معلنة عودتنا جميعا بسلامة الله.

ولكن كادت تحدث فوق المطار كارثة فقد عادت كل الطائرات من طلعاتها في توقيت متقارب جدا كانت 37 طائرة فوق المطار في وقت واحد ولا يعلم مدى خطورة ذلك إلا العاملين في مجال الطيران، وكاد قائد ثان السرب وهو قائد التشكيل الثانى في مجموعتنا أن يتعرض لحادث أليم، وهنا أمرت تشكيلاتنا بالانسحاب من دائرة المطار والتسلق إلى ارتفاع أعلى خارج الدائرة حتى تهبط معظم الطائرات، فعلا تم ذلك ونزلنا بالسلامة وهذا أفضل.

كنا نتوقع أن يهب العدو ليلاحقنا، فلابد أن حالات الاستعداد الأرضى جاهزة للإقلاع الفورى لاعتراض طائراتنا ولكن لم يحدث ذلك وانتظرنا وطال الانتظار لقد شلت الضربة المركزة تفكيره.

كان يوم عيد فبعد نزولنا وتحركنا فوق أرض المطار متجهين إلى الدشم كان النداء المقدس الله أكبر يهز جنبات المطار وكان رجال المدفعية م ط يلوحون لنا بأيديهم من داخل مواقعهم، أيضا رجال

الحراسة والمراقبة بالفعل كان عيدا هذا ما أعنيه بالضبط. فقد فرحنا فرحة لم نفرحها من قبل هل تعرف ما هى الفرحة التى لم يفرحها إنسان من قبل؟ لن تعرف.. لقد عرفها فقط هؤلاء الطيارون الذين شاركوا في هذا العمل إنها فرحة الثأر من إسرائيل.. فرحة النصر الذى لم نذقه من قبل إنها فرحة الحلم الذى تحقق.

أقبل علينا الرجال يحملوننا من مقاعدنا حملا، كنا نتلقى التهانى من كل الزملاء وكل الرجال.. لقد رددتم كرامتنا، ورفعتم رأسنا بعد طول انتظار، ورفعتم رأس بلدنا عاليا، هذه أول مرة نهاجم فيها عدونا في عقر داره، كان دائما يأتى ونتصدى له، واليوم ذهبنا إليه وضربناه ولم يتصدى لنا نعم ذهبنا إليه وضربناه ولن يتصدى لنا! ما أروع التخطيط، ما أورع التدريب، ما أروع التنفيذ ما أروع القيادة..

حضر قائد اللواء العميد صبحى إلى الدشم وعانقنى بفرح وشكرنى وهنا سألته متى نقوم بالضربة الثانية، إن العدو ينزف ولابد من الإجهاز عليه. فرد قائلا عندما تصدر الأوامر بذلك ونحن منتظرون فلا تقلق فأكدت له مدى استعدادنا وحماسنا لتكرار الطلعة..

وانتهى اليوم العظيم. حمدا لك يارب... لقد استجبت لدعائنا ومنحتنا رضائك وبعد آخر ضوء اتجهنا جميعا إلى السرب لكتابة تقرير العمليات وتسليمه لضابط العمليات، أيضا كتابة تقرير النجاح وتسليمه لرئيس أركان اللواء ثم اجتمعت بالطيارين للتعليق على مهمة هذا اليوم العظيم وتحليل أعمالنا وكان روحهم المعنوية في السماء يكادون أن يرقصوا من شدة فرحهم.. وكان طيران اليوم يدون أخطاء فكل ما درسناه قبل الطلعة ورسمناه ثم تنفيذه بدقة تامة لم تحدث من قبل وكان

الالتزام تام، وبعد التعليق أمرت الطيارين الذهاب للراحة وللاستعداد الباكر إن اشاء الله فسوف يكون يوما مشهودا كما أتوقعه، فإن الدرس الرهيب الذى لقناه اليوم للعدو سيحاول أن يكون رده عليه عنيفا فهذا أسلوبه في الرد لابد أن يكون عنيفا ورادعا.

ولا أود أن أستبق الأحداث وأذكر أن ما توقعته من العدو قد حدث ولكنه لم يستعد للمفاجأة التى كانت في انتظاره.

واتجهنا إلى السرب الخامس السورى واجتمعنا نحن قادة الأسراب ومعنا قيادة اللواء، وكانت روحنا المعنوية في عنان السماء، نتدارس ما حققناه في هذا اليوم العظيم محللين رد الفعل لدى العدو وما سوف نعده غدا إن شاء الله وكانت دراسة مفيدة وكثيرا مما توقعناه قد تحقق واستفدنا كثيرا من استنتاجاتنا. انصرفنا جميعا إلى ميس الطعام وتناولنا وجبة العشاء وأحب أن أنوه هنا إلى أن قيادة القاعدة منذ بدأ القتال وهى تعطى عناية فائقة بالطعام بشكل واضح كان مثار تعليقات الجميع فقد كان كله من طراز «المنسف» وهى أغلى الأطعمة ويتكون من الأرز واللحم الضانى والمكسرات، وانتهى طعام العشاء واتجهنا بعد ذلك إلى المنامة وهو ميس النوم.

قمت بتدوين يومياتى كما تعودت منذ زمن بعيد، وللحق ما كنت استطيع كتابة كل هذه المعلومة بدونها فإننى أستقى منها معلوماتى.. ثم أديت الصلاة وصلاة العشاء وقرأت سورة يس كما تعودت ثم استغرقت في النوم قرير العين راض تماما عن نفسى وعن سربى وهيأت نفسى لغد غليظ مشتعل.

- ضربة العدو الجوية

وفى اليوم السابع من أكتوبر اليوم الثانى من أيام القتال استيقظ السرب بكامل قوته قبل أول ضوء، فمنذ أمس واستعداد السرب لتنفيذ المهام يبدأ من أول ضوء وسوف يستمر الحال على هذا المنوال حتى انتهاء الحرب، وتوجهنا إلى مركز قيادة السرب بجوار مبانيه وقمت ببعض الإجراءات الوثائقية والاطلاع على أى تعليمات أو أوامر صدرت من قيادة اللواء.

وكان الطيارون قد اتجهوا إلى الدشم فور مغادرتهم ميس النوم وأخذنا وضع الاستعداد لتلبية مهمة الدفاع الجوى، والجدير بالذكر في هذا المقام أن نوضح كيف يبدأ الطيارون عملهم في الصباح الباكر أول ضوء وهو أسلوب سوف يتبع حتى انتهاء القتال، يتوجه الطيارون يوميا إلى الدشم لتولى حالات الاستعداد الأولى ويستعد تشكيل رف من أربعة طائرات بتسليح يتفق مع مهام اعتراض الطائرات المعادية وفى هذه الحالة يكون الطيارون داخل طائراتهم أو كما نستخدم: لفظ مربوطين (حالة أولى مربوطين أو حالة أولى تحت الجناح) أما الحالة الثانية فكانت 4 طائرات بتسليح دفاع والطيارون بجوار الطائرات.

وكان رجال الصيانة من الميكانيكيين قد سبقوا في الفجر لاختيار الطائرات وإعاده ملأها وتجهيزها، ثم يقومون بتجهيز ما سوف يستجد من مطالب تخص طلعات المعاونة الجوية وهى المهمة الرئيسية للسرب، وهى تقديم المعاونة الجوية للقوات البرية وذلك بضرب الدبابات والمدفعيات والصواريخ والمركبات والرادارات ومراكز

القيادة والسيطرة كأهداف رئيسية، ما يستجد من أهداف ترى قيادات القوات الجوية أن نتعامل معها تلبية لطلب القيادة العامة للقوات المسلحة، وبذلك يقوم رجال التسليح بتجهيز أنواع الذخيرة بين القنابل والصورايخ وطلقات المدافع وأفلام التصوير بما يلبى طلعات السرب كما يكلف بها..

أيضا أرى أن أوضح أن طائراتنا «الميج 17» مجهزة أساسا للعمل في واجب المعاونة للقوات البرية حيث أن تسليحها يتناسب مع هذه المهمة وهى مهمتنا الرئيسية، أما مهام الدفاع الجوى فهى تعمل فيه كمهمة ثانوية أو بمعنى آخر خط ثانى لأنها غير مجهزة بالشكل اللائق لهذه المهام ويقوم بهذه المهمة الطائرات «ميج 21».

انتهيت من أعمالى في السرب خلال دقائق واتجهت إلى الدشم وتوليت مهمة حالة أولى دفاع جوى، وتولى قائد ثان السرب حالة ثانية، وكان قد حضر قائد اللواء وأعطاه تلقين التقديم أول طلعة معاونة جوية لقواتنا في الجبهة في حرب أكتوبر، وحاولت أن ألم بالتلقين الذى تلقاه من قائد اللواء ولكنه رد قائلا إن الوقت لا يسمح والطلعة عاجلة وانطلق.

وانطلق إلى مهمته، فقد دفع العدو بطائراته «الميراج» بكثافة غير عادية يسعى إلى رد درس أمس كما توقعنا تماما، وكانت تنتظره صورايخ الدفاع الجوى لاستقباله وكان استقبالا حافلا، هذا بالإضافة إلى مقاتلات «الميج 21»، كان استقبالا حافلا بالمعنى الكامل، وبدأت

طائراتهم تتساقط بكثافة وكنا نرى ذلك بالقرب من المطار. حدث هذا في نفس الوقت الذى أقلع فيه قائد ثان السرب متجها إلى الجبهة لتقديم المعاونة واعترضته مقاتلات العدو وتلقى أوامر بالعودة إلى القاعدة وكان القدر ينتظر هذا التشكيل ويدخر له مأساة محزنة.

فقد كان جحيما فوق المطار: صورايخ الدفاع الجوى تتعامل مع طائرات العدو التى كانت تحاول الافلات منها بشكل مذعور والمقاتلات ميج 21 تطاردها والانفجارات الجوية تتوالى فوق المطار، وأخذ التشكيل أوضاعه من دائرة المطار بهدف الهبوط.

وهنا بدأت الكارثة؛ انطلق صاروخ جوى وأسقط أحد طائرات التشكيل وهو الملازم شريف واستطاع أن يقفز في أخر لحظة ثم انطلق صاروخ آخر أفلتت منه الطائرات الثلاثة الباقيات بصعوبة، وانطلق صاروخ آخر أصاب قائد التشكيل النقيب بدوى وهو على وشك الهبوط، فانفجرت طائرته في الحال وهو بداخلها وهبط الطياران الباقيان!

ماذا حدث؟! كنا نشاهد هذه المأساة تحدث في دائرة المطار ونحن في ذهول: ما هذا ؟ هذه سلسلة من الأخطاء درسنا جيدا كيف نتجنبها وكانت القوات الجوية قد أعدت خطتها لتجنب مثل هذه الكوارث.

العريش – ويتوسط المجموعة لواء طيار عبد الحميد الدغيدي [قائد المنطقة الشرقية]

كانت مصيبة كبيرة بالنسبة للسرب لقد فقد السرب نصف قيادته، فلم يكن لدينا من قادة التشكيلات سواى أنا وهذا الرجل الذى فقدناه، والثالث في مصر لا أعلم عنه شيء، وهكذا منذ البداية يتلقى السرب ضربة قاسية أصابتة في مقتل، وأيضا فقدنا طيار أصبح جريحا بعد أن أصيب أثناء قذفه بالمظلة وأصبحنا ثمانية طيارين فقط.. هكذا منذ البداية!

كيف حدثت هذه الكارثة؟ ما هو الخطأ؟ هذا الجحيم الذى فتح إبوابه فوق القاعدة لم يكن مناسبا أن يكون على هذه الصورة فإن التعليمات تحذر أن تتعامل صواريخ الدفاع الجوى ضد طائرات العدو في منطقة واحدة تعمل فيها طائراتنا وتحظر ذلك، فكان يجب أن يظل التشكيل على الأرض مادامت هناك معارك جوية في المنطقة تتعامل فيها صواريخ الدفاع الجوى مع طائرات العدو. أو يتم ابعاد تشكيلاتنا من سماء هذه المعركة!

ولكن للأسف هذا وراد... مجرد تأخر معلومة عن الوصول في الموعد المناسب لاتخاذ القرار المناسب سوف يجعل اتخاذ هذا القرار في وقت غير مناسب ويتولد بسببه كارثة مثل التى حدثت.

وهكذا أثناء الحروب تتولد عن الأخطاء – سواء أخطاء التنسيق أو أخطاء القيادة أو اخطاء المعلومة – كوارث ومآسى، استشهد طيار

شجاع كنت أعتمد عليه كثيرا، أصاب السرب في مقتل فلم يكن هناك بديل له في قيادة التشكيلات..

وهذا موضوع أرى من واجبى أن أسلط عليه بعض الضوء لأهميته، فإن الطيار خلال مسيرته كطيار في القوات الجوية يكتسب من الخبرات المتراكمة ما يحقق حصيلة من الخبرة تتنامى، وبالتالى تزداد الجرعات التدريبية المعقدة بالإضافة إلى مهام تولى مسئولية قيادة التشكيلات الجوية في الجو التى يبدأ بقيادة قسم من الطائرات، ثم قائد قسم في تشكيل رف، ثم قائد رف حتى يصل إلى أعلى مستوى في قيادة التشكيلات في الجو وهو قائد سرب مكون من ثلاثة رفوف وتكون رتبته في ذلك الحين لا تقل رتبة عن رائد.

وعندما فقدنا قائد ثان السرب كان باقى الطيارين من الرتب الصغيرة، ملازم ثان وملازم أول، مدرب فقط على قيادة قسم. وبالطبع لم تكن الظروف تسمح بتأهيله ليقود رف، وبالتالى أخذت على عاتقى أن ألبى كل طلعات الرفوف التى سوف نكلف بها، فإن الطيران أثناء العمليات كما ذكرت من قبل لا يتقيد كثيرا بالأساليب المتبعة في طلعات التدريب والتى تهدف إلى تحقيق الأمان للتشكيل أثناء الطيران التدريبى بأشكاله المختلفة..

وهكذا تغير الحال في السرب تغيرا حادا. وهكذا كانت أول خسائرنا. ولم نكلف في هذا اليوم بواجبات أخرى، خسر العدو كثيرا من طائراته في ذلك اليوم ولم نشاهد له أى نشاط بعد الخسائر الفادحة التى تعرض لها في هذا الصباح، وكانت وسائل الدفاع الجوى تشكل خطرا عظيما على العدو الجوى أيضا أصبح الطيارون يخشونها، فهى كالصديق الجاهل الذى قد تجنى من وراءه الكثير من المتاعب..

بل وأزيد على ذلك ضربنا بعرض الحائط كل الخطط التى تحد الارتفاعات التى نلتزم بها في المناطق التى تنشط بها وسائل الدفاع الجوى الصديق، وألزمنا أنفسنا بالطيران المنخفض جدا سواء فوق أراضينا أو أراضى العدو.

بعد انتهاء اليوم قابلت قائد اللواء واحتججت بغضب كبير على هذا الخطأ البشع الذى أدى إلى فقدان قائد ثان السرب وإصابة أحد الطيارين وقد حاول قائد اللواء مواساتى ذاكرا أننا نعلم جميعا أن الأخطاء في الحروب أمر وارد وليست هى المرة الأولى ووعدنى بأنه هذا لن يتكرر خاصة فوق المطار، ولكن هذه هى الحرب مأساة كبرى، وحزنا كثيرا على فقد زميلنا ولكن الأحزان لا توقف قتال وانتهى اليوم، وكالمعتاد قمت بكتابة تقرير النجاح ثم التحضير لليوم التالى بالطبع كانت هزة عنيفة للطيارين في أول قتال لهم.. ثم اجتمعت

مع قادة الأسراب وهيئة قيادة اللواء نتدارس نتائج هذا اليوم واتضح لى أن الأسراب السورية نفذت عدد كبير من الطلعات في هذا اليوم، ولم يتكرر هذا الخطأ الذى حدث فوق المطار سواء في الطريق إلى الجبهة أو فوق الجبهة ولكن قررنا الالتزام بالطيران المنخفض جدا، من وإلى الجبهة تجنبا لأى احتمالات خطأ من دفاعنا الجوى. واتخذنا من وسائل الدفاع الجوى عدوا نعمل على تجنبه والحذر منه وتحديد مجاله، كما علمت أن هناك طيارين استشهدوا في الجبهة.

اتجهنا بعد ذلك لتناول وجبة طعام العشاء وانصرفنا إلى ميس النوم للإخلاء إلى النوم فإن اليوم التالى يحتاج إلى مجهود كبير طبقا لما وصلنا إليه من تحليل للموقف.

- اعتذار غير موفق

اليوم الثالث عمليات الثامن من أكتوبر، نهضنا من النوم كالعادة قبل أول ضوء وذهب الطيارون إلى الدشم مباشرة وذهبت إلى مبنى قيادة السرب للاطلاع على تعليمات جديدة وكتابة بعض الوثائق ثم لحقت بالطيارين في الدشم، وكان هذا الاسلوب يتبع يوميا حتى وقف إطلاق النيران.